ميناندروس

على الرغم بان الكاتب اليوناني (مننادر) ينتمي تاريخياً الى اليونان الا ان هذا لا يمنع ان يصنف ضمن أشهر كتاب المسرح اليوناني والروماني ودوره في اثراء المشهد المسرحي اللاتيني كشاعر (مخضرم) عاصر الحقبتين والحضارتين اليونانية والرومانية.

عد مسرح (مننادر) من أجمل وأرقى ما انتجه الادب اليوناني والروماني الا ان انقطاع نقل اعماله بواسطة اللفائف المخطوطة لم يترك من ادبه المسرحي غير الأثر الذي نجده في (اقتباسات) اللذين قلدوه وخصوصاً في كوميديات (بلاوتس) و (تيرانس). وقد ساعدت الاكتشافات البردية الحديثة التي عثر عليها في مصر بالتعرف على مقاطع من اعماله ومسرحية واحدة فقط وصلت كاملة وهي (الديسكولوس).

تأثر كاتبنا المخضرم (ميناندروس) بفلسفة (ارسطو) التي لم يعاصرها وانما كان تأثره بواسطة أحد تلاميذ ارسطو والذي كان صديقاً مقرباً لمننادر فأحترم مبادئ كتاب (فن الشعر) وأصبح اب لكلاسيكية المتأخرة. كتب في الكوميديا (البرجوازية) التي تكون حبكتها مبنية على قصة غرام يعاني أصحابها من عوائق مختلفة وتنتهي بالتوفيق والزواج في إطار تصوير للاخلاق والطبائع المرصودة من الواقع المعيش.

الكوميديا الجديدة هذه لمننادر تجنبت اسلوبياً فحش وبذاءة (ارستوفانيس) ولم تكترث للمسائل السياسية، في حين انها استمدت من تراجيديات (يوربيدس) – الحدث المفاجئ-و – الاستعراف- واستبدال القدر التراجيدي بدولاب الحظ يشرف على مصير الناس ويوجه مجرى حياتهم الخاصة.

تدور احداث مســـرحيات مننادر الكوميدية البرجوازية في إطار الحياة العائلية، ويحتل الحب العاطفي الحيز الأكبر من الحبكة المركبة، ولكن المحور الرئيسي هو (العبد) الماكر الذي يدبر مكيدة لمساعدة العاشقين وهو (محرك) الحبكة الأول.

ولا شيء يبرر غيرة ذاك العبد على شؤون سيده الغرامية ولا الهمة البالغة التي يبذلها في القيام بأعمال صـعبة ومعقدة لصـالحه، مجهود لا يعود للعبد بمنفعة او مكافأة وان كل حيل العبد الماكرة ومكائده لا تحل العقدة في النهاية انما هو دولاب الحظ الذي يأتي فجأة هو من يحلحل خيوط الحبكة المركبة. ففي النهاية العبد لا يتمتع بحقوق مدنية وليس له حق المواطنة. لكن ذلك العبد عند مننادر هو صـــنيعته ومحرك احداث تنامي الحدث والذي يتخذ منه وثيقة للدخول الى حرم المنزل في المسرحية ولمؤانسة الأشخاص في حياتهم الخاصة

كان (العبد) في مســـرحيات (ميناندروس) مجرد خدعة مهنية لحمل الشـخصـيات على كشـف اسـرار قلبهم امام الجمهور، وفي الوقت ذاته هو (مخرج) بالوكالة التي يتخيلها الكاتب، العبد هو الشـخصـية الوحيدة النابضـة بالحيوية في حين ان الشـخصـيات الأخرى تخضـــع لأنماط تكاد ان تكون ثابتة: الحبيبان/ الاب/ العجوز/ المتطفل/ الجندي/ الطبيب/ الدجال.

ان كانت المكيدة التي يحيكها العبد هي العنصـــر الوظيفي في الكوميديا، فالعنصر البنيوي هو قصة الحب. لقد وصف مننادروس العواطف الغرامية بدقة لطيفة مما جعل الاقدمين ينســـبون لمننادر بانه شـخصـية متودده الى النسـاء وفي شـؤون الغرام. فالحب هو موضـــوع جذاب ومشـــوق ويعكس صـــراعات خارجية ونفســـية واجتماعية.

ولكي يدعم فعالية بنيته المسرحية ابتكر مننادر دور (الصبية العاشقة) وهي الشخصية الوحيدة التي لا تضحك ابداً وهي جميلة دون تكلف وغالباً فقيرة ووارثة لثروة من المال لكنها خاضعة لوصي مستبد بخيل، فاضلة وثابتة العزم حتى وان كانت زوجت قسراً في الماضي دون ارادتها. انها ناجحة في استمالة الجمهور الى صالحها وفي النهاية تبلغ الكوميديا مبتغاها وهدفها الادبي عندما تتوافق امنية المشاهد مع انتصار الفضيلة وهزيمة الفساد الخلقي وبطلان الظلم.

لقد سعى مننادر الى (التطهير) الارسطي سواء على الصعيد الأخلاقي بأثارة النفور من الاطباع السيئة والتصرفات المخطئة اما على الصعيد الفلسفي فقد قام مننادر بتحويل حالة السخط او الغضب التي تحدثها شوائب الأشرار وبلايا الأبرياء الى ضحك ممتع يزيل الاحتقان المقلق الذي يساور المشاهد ويصالحه مع الحياة.

كتب (مننادروس) أكثر من ١٠٠ مسرحية أهمها:

- الديسكولوس.
- امرأة من ساموس.
- الترس.
- الاحتكام.
- الطيف.

للمزيد ينظر: روجيه عساف، سيرة المسرح: اعمال واعلام، ج١، العصور القديمة: جدول تاريخي للمسرحيين والمسرحيات (لبنان: دار الاداب، ٢٠٠٩) ص ٢١٤-٢١٦.

تحليل ٣ مسرحيات لمننادر.